التصوف عند التفتازاني : مفهومه ودوره في حياة المجتمع

د. زاهد روسان

قسم الاجتماع ــ كلية الاداب

جامعة اليرموك

ملخص

يعالج القسم الأول من هذه الدراسة مفهوم التصوف عند التفتازاني كمنهج اصلاحي يتجه الى تربية المسلم التربية الاخلاقية السليمة وفق اسس العلم كما يدعي ، ووفق المثل الاعلى الذي جاء به الاسلام ، وذلك لمواجهة ايديولوجيات العصر الوافدة الينا ، وفي نفس الوقت الحفاظ على تراثنا الديني والفكري والحضاري.

اما القسم الثاني فيرمي الى بيان المبادئ الايجابية التي تحقق ، في نظره ، تطور المجتمع الى الامام ، وخصوصاً منه التسامح والرفق في حياة الافراد وحياة الشعوب ، ومن ثم رفض استخدام العنف كعامل في التغيير الاجتماعي . وقد بينت اخيراً ان التفتازاني لم يحقق شيئاً على ارضية الواقع . ولم يقدم حلولاً لقضايا المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي يتميز بها عصرنا كما يقول ، بل - وهذا هو الاصح في نظرنا - ساهم في مشروعية الواقع الراهن المتأزم وخصوصاً المصري ، وليس حديثه الاصلاحي الا تغطية على جراح المجتمع والانسان .

AL-Taftazani's Sufism : His Concept and its Role in the Life of Society

Abstract

The first part of this study examines the concept of Sufism AL-Taftazani considers it being a progressive approach directed towards educating the Moslem morally to teach him what he cells the right moral education according to the secientific criteria and the ultmate ideal that Islam founded . The purpose is to be able to face the ideologies of the age as these intruded from outside and at the same time to preserve the own religious , intellectual and cultural heritage .

The second part shows the positive principles which help realize , according to him , the development of society among which he mentions tolerance and piety in the life of individuals and groups and hence the rejection of violence as a factor in social change .

the conclusion is that AL-Taftazani did not really realize anything in practice and was unable to present solutions to the economic , political and cultural problems of society as these dominate our age . On the contrary he contributed to the consolidation of the present legacy of reality crisis . His talking is no more than a cover for the wounds of society and men .

مقدمة :

يتميز هذا العصر الذي نعيش فيه - كما يقول التفتازاني نفسه - بانه عصر يتسم باتساع افق الثقافة نتيجة التقدم العلمي المستمر ، وهذا من شأنه ان يبعث عند الكثيرين من المفكرين العرب تساؤلاً مستمراً عن قيمة تراثنا الحضاري ازاء ثقافة العصر ، وان يحث بعضهم في الوقت نفسه على القيام بمحاولة جادة تهدف الى الكشف عما يمكن ان يكون في ذلك التراث من المعاني الايجابية والقيم الخلاقة الدافعة الى التقدم العلمي والاجتماعي ، ايماناً منهم بامكانية الملائمة بين التراث وثقافة العصر ، وهي ملائمة تعطينا ثقة بانفسنا ، وتؤكد شخصيتنا بازاء الثقافات الوافدة الينا على اختلاف اتجاهاتها(١).

ومن اولئك المفكرين الذين عنوا بدراسة التراث العربي الاسامي من اجل الكشف عن اصالته ، والابانة عما ينطوي عليه من معاني وقيم روحية ، ابو الوفا الغنيمي التفتازاني (١٩٣٠-١٩٩٤م) . فلقد شعر هذا المفكر كغيره من مواطني امته ، بوطأة المذاهب المادية والجدية المعاصرة على النفس ، خصوصا وان هذا الاخيرة ترى الوجود الانساني مجرد عبث ، اضافة الى انها تشاؤمية الطابع ، واذا بقيت هذه الفلسفات - يقول التفتازاني - فسقضي ((على اعظم ما أنتجته البشرية من حضارة ، لانها تقتل في الانسان طموحه ولا تجعل له هدفا يسعى اليه))(٢).

ولعل اهم الدوافع التي جعلت مفكرنا يعنى بتراثنا عناية بالغة - اضافة الى ما سبق ذكره وهو التصدي للفلسفات الغربية عن تراثنا - هو ان هذا التراث من شأنه ان ((يجعلنا اكثر تفهما لماضينا، واكثر وعيا بقيمة واصالة ذلك التراث . واستلهام تراثنا الفكري من شأنه ان ينير امامنا السبيل ويوضح لنا الرؤية في حاضرنا ومستقبلنا على السواء))(٣) . واضح من قوله ان الاهتمام بالتراث لا يعني اجترار الماضي وتكراره ، بل محاولة ربطه بالحاضر والمستقبل لتحقيق صالح الامة وجلب الفوائد لها وخصوصا ما يتعلق فيها بالعقائد والاخلاق والتهذيب الروحي ، فهذه في نظره ، لا جدوى من استعارة نظرياتها من الخارج .

اما اهم ما في التراث والذي كان موضع اهتمام التفتازاني ورعايته فهو التصوف ، ذلك لانه – في نظره – يمكن ان يحدث توازناً بالنسبة لانسان العصر ، حيث يمده بالقيم الروحية التي دعا اليها الاسلام ، والتي يجب ان يتسلح بها في مواجهة الحاد العصر على اختلاف مذاهبه(٤) . هذا قد ألف حول هذا الموضوع عدداً من الكتب والمقالات العلمية يمكن ان نذكر منها :

– كتابه عن ((ابن عطاء الله السكندري وتصوفه)) الذي جعله موضوعاً لدراسته في الماجستير سنة ١٩٥٥م.

– كتابه عن ((ابن سبعين وفلسفاته الصوفية)) الذي جعله موضوعاً للدكتوراه سنة ١٩٦١م .

– كتابه الذي بعنوان ((مدخل الى التصوف الاسلامي)) وهو عبارة عن دراسة تاريخية شاملة وعامة للتصوف الاسلامي ونشأته ومصدره .

– وهناك عدد من المقالات المتعلقة بابيستمولوجية التصوف وسيكولوجيته ، ومن ثم الطرق الصوفية بمصر ، وغيرها كثير (٥).

اما موضوع بحثنا فهو :((التصوف عند ابي الوفا التفتازاني : مفهومه ودوره في جياة المجتمع)).

اولاً: مفهوم التصوف عند التفتازاني:

يبدأ التفتازاني حديثه عن التصوف ببيان موقعه داخل الفلسفة الاسلامية ، ومن ثم فان اصالته تتوقف عنده على مفهومه لهذه الفلسفة . والفلسفة الاسلامية في نظره ، هي تلك الفلسفة التي نشأت وتطورت في ظل الاسلام وحضارته ، وارتبطت به بوجوه مختلفة من الارتباط ، اما بالدفاع عن عقائده ، او بالفهم الدقيق لاحكامه الشرعية العملية الفروعية واستنباطها عن ادلتها او ا وصلها ، او العناية بناحية التذوق الروحي لاحكامه واخلاقه او بالملائمة والتقريب بينه وبين فلسفات اخرى وافدة الى المسلمين (٦).

وعليه فقد ميز التفتازاني بين نوعين من الفكر الفلسفي في الاسلام :

اولهما: الفكر الفلسفي في مجال العلوم الشرعية ، وفي هذا الفكر تتجلى قدرة المسلمين على الابتكار بوضوح .

وثانيهما : الفكر الفلسفي الخالص ،وهو الفكر الذي يقضي معالجة المسائل المطروحة للبحث على نحو خاص ، بصرف النظر عن ارتباط هذه المسائل اساساً بالشرعيات او عدم ارتباطها ، وفي هذا الفكر تظهر قدرة فلاسفة المسلمين على الابتكار ، ولكنه ابتكار محدود بالقياس الى ابتكار المسلمين في مجال العلوم الشرعية(٧).

وقد اسهب التفتازاني في الحديث عن الفكر الفلسفي في مجال العلوم الشرعية تأليفاً وبحثاً ، دراسة وتحقيقاً ، وكان اهتمامه بالتصوف الذي هو علم شرعي يفوق اهتمامه بالعلوم الاسلامية الاخرى ، وبالتالي فان أصالته هي من اصالة تلك العلوم ، وليس كذلك بالنسبة للفلسفة التي تعني الحكمة ، وهذا الرأي الذي ذهب اليه التفتازاني يذكرنا برأي الشيخ مصطفى عبد الرزاق (١٨٨٥-١٩٤٧م) في محاولته توضيح مفهوم الفلسفة الاسلامية وتعليل نشأتها والابانة عن اصالتها ، فهي عنده تشمل علم الكلام وعلم التصوف وعلم اصول الفقه والفلسفة الخالصة ، بل هو يصف الاخرة باسم الحكمة على نحو ما وجد في كتب مؤلفي العربية التي كانت تضع الحكمة والحكيم مكان الفلسفة والفيلسوف وبالعكس ، وعبروا بحكماء الاسلام وفلاسفة الاسلام (٨).

والتفتازاني يثبت للتصوف خمس خصائص نفسية واخلاقية وابستمولوجية ، ويرى انها اكثر انطباعاً على مختلف انواع التصوف ، وهي :

- الترقي الاخلاقي ، ويهدف الى تصفية النفس من كل الشوائب من اجل الوصول الى تحقيق قيم اخلاقية ، وهذا يتطلب مجاهدات بدنية ورياضيات نفسية معينة ، وزهد في ماديات الحياة .

- الفناء في الحقيقة المطلقة ، والمقصود بالفناء هنا هو ان يصل الصوفي من رياضاته الى حالة نفسية معينة لا يعود يشعر معها بذاته او بانيته ، كما يشعر ببقائه مع حقيقة اسمى مطلقة ، وانه قد فنيت ارادته في ارادة المطلق ، وهذا ما يسمى بالاتحاد او الحلول او وحدة الوجود .

- العرفان الذوقي المباشر: وهو معيار ابستمولوجي دقيق يميز التصوف عن غيره من الفلسفات ، فاذا كان الفيلسوف يصطنع مناهج العقل في فلسفته لادراك الحقيقة ، فان الصوفي يستعمل الكشف او الذوق او ما شابه ذلك من التسميات لمعرفة الحقيقة .

- الطمأنينة والسعادة . وهي خاصية مميزة لكل انواع التصوف ، اذ يسعى الصوفي في هذه الحال الى قهر دواعي البدن او ضبطها ، وعمل نوع من التوافق النفسي مع ذاته ، وهذا من شأنه ان يجعله متحرراً من كل مخاوفه ، وشاعراً براحة نفسية عميقة ، او طمأنينة تتحقق معها سعادته.

- واخيراً الرمزية في التعبير . ويقصد بالرمزية هنا ان لعبارات المتصوفة عادة معنيين : احدهما يأخذ بظاهر الالفاظ ، والثاني يأخذ بباطن الالفاظ ، والمعنى الاخير مستغلق على من ليس بصوفي ، لانه عبارة عن حالات وجدانية خاصة يصعب التعبير عنها بالفاظ اللغة لانها استبطان ذاتي (٩).

وبناء على ما تقدم من عرض للخصائص التي تميز جميع انواع التصوف ، يضع لنا التفتازاني تعريفاً للتصوف يعتبره اشمل التعاريف ، وهو ((ان التصوف فلسفة حياة تهدف الى الترقي بالنفس الانسانية اخلاقياً، وتتحقق بواسطة رياضيات عملية معينة تؤدي الى الشعور في بعض الاحيان بالفناء الاسمى ، والعرفان بها ذوقاً لا عقلاً ، وثمرتها السعادة الروحية ، ويصعب التعبير عن حقائقها بالفاظ اللغة العادية لانها وجدانية الطابع وذاتية))(١٠).

والحقيقة ان التفتازاني في تعريفه انطلاقاً من الخصائص الخمسة التي حددها لم يأت بشيء جديد ، بل سبقه الى ذلك الباحثين المحدثين امثال وليم جيمس

William James (١١) وبيوك M. Buke (١٢) وبرتراندرسل B. Russel (١٣) كما يعترف هو بذلك ، وكل ما عمله التفتازاني هو انه انتقى من كل باحث بعض الخصائص ثم جمعها في اطار واحد ليزعم انها عامة شاملة تنطبق على كل احوال التصوف . وهنا يأتي هذا السؤال : كيف يدعي التفتازاني ان التصوف فرع من العلوم الشرعية الاسلامية او الفلسفة الاسلامية ، ثم يلجأ في الوقت نفسه الى الاستعانة ببعض الباحثين الغربيين المحدثين ليصوغ اطارا عاما للتصوف واحوال المتصوفة؟ أليس الاجدر به ان يضع تعريفا للتصوف وخصائص له انطلاقا من واقع المجتمع الاسلامي المعاش وظروفه واحواله وخصوصا انه يقول :((ان التصوف الاسلامي اسلامي المنشأة ، ومردود اساسا الى القرآن والسنة وحياة الصحابة واقوالهم))(١٤).

والتصوف في الاسلام – كما يرى التفتازاني– عبارة عن اخلاقيات مستمدة من الاسلام نفسه ، وبالتالي فلا داعي للبحث عن مصادر اجنبية عن الاسلام ، وهو يصوغ هذا المعنى على شكل قياس منطقي:

مقدمته الكبرى : احكام الاسلام كلها مردودة الى اساس اخلاقي .

النتيجة : التصوف اذن في اساسه خلق ، وهو بهذا الاعتبار روح الاسلام (١٥).

ونلاحظ في هذا القياس ان مقدمته الصغرى قد اقتضبت ، وهذا ما يسمى بالقياس المقتضب او المضمر ، وتقدير هذه المقدمة هو : التصوف من احكام الاسلام .

هذا وقد جانب بعض الباحثين العرب الصواب حينما وضع القياس الذي استقاه من التفتازاني على الشكل التالي :

مقدمته الاولى : كل احكام الاسلام مردودة الى اساس اخلاقي .

والثانية : التصوف معني بالاخلاق .

والنتيجة : ان التصوف يمثل روح الاسلام (١٦).

ووجه الخطأ عند الباحث المشار اليه يكمن في وضعه للمقدمة الثانية في الصيغة المذكورة ، حيث يصبح القياس من الشكل الثاني لان الحد الاوسط (وهو الاخلاق) محمول في المقدمتين . ومن قواعده الخاصة ان تكون احدى المقدمتين سالبة ، وذلك لكي يكون الحد الاوسط الذي يؤلف المحمول في كلتا المقدمتين مستغرقا في احداهما(١٧) . ولما كان القياس السابق الذي وضعه الباحث العربي يخلو من السلب فهو اذن خاطئ ثم ان النتيجة يجب ان تكون سالبة.

ويستعين التفتازاني لاثبات صحة مقدمة القياس الكبرى بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية ، وكلها تثبت ان اخلاق الاسلام هي اساس الشريعة ، بحيث لو افتقرت احكام الشريعة ، سواء كانت احكاما اعتقادية او احكاما فقهية ، الى الاساس الاخلاقي لكانت صورة لا روح فيها ، او هيكلا فارغا من المحتوى والمضمون(١٨) . ومن الامثلة على ذلك الصلاة التي لا يكون لها قيمة او فائدة اذا لم تقم على اساس اخلاقي . وهكذا يؤكد التفتازاني على انها في حقيقتها طهارة للنفس ، وترقيقا للقلب ، وتحلية للانسان بفضائل الهيبة والخشوع والمشاهدة والمراقبة والمناجاة مع الله ، وبدون هذه المعاني تكون الصلاة هيكلا فارغا من المضمون على حد قوله(١٩) . والايات الدالة على ذلك كثيرة كقوله تعالى:((وقد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون))(٢٠) وقوله ايضا:((ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))(٢١) ومثل ذلك في الزكاة والصوم والحج وكذلك في احكام الايمان (٢٢).

اما ان التصوف من احكام الاسلام او من احكام الشريعة – وهي المقدمة الصغرى المحذوفة في القياس– فهذا ما عالجه التفتازاني في غير ما موضع. ففي تمييزه بين علم الكلام وعلم التصوف ، يقول بانه كان علم الكلام يقتصر على بحث العقائد والدفاع عنها بايراد الحجج ودفع الشبه ، فان علم التصوف يعتبر الاحكام الشرعية . نظرية كانت او عملية من ناحية آثارها في قلوب المتعبدين بها ، فهو يعني بجانب السلوك والاخلاق على اساس من الذوق الروحي والوجدان القلبي(٢٣). ومع هذا التمييز – يقول التفتازاني– تبقى الصلة بين التصوف

والعلوم الشرعية الاخرى كعلم الكلام وعلم الفقه موجودة ، ذلك لان مثل هذا التمييز بين هذه العلوم اعتباري محض ، اذ يمكن ان تندرج جميعها تحت اسم واحد هو الشريعة ، فعلم الفقه يستند الى علم الكلام استناد الفرع الى الاصل وعلم التصوف يستند الى علمي الكلام والفقه ، اذ لابد للصوفي من علم كامل بالكتاب والسنة لكي يصحح اعتقاداته وعباداته ومعاملاته على اختلافها(٢٤). ويستند التفتازاني في توثيق هذه الصلة بين العلوم المذكورة على ما قاله الشعراني (+٩٧٣هـ) في طبقاته من ان التصوف علم انقدح في قلوب الاولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة .... فالتصوف انما هو زبدة عمل العبد باحكام الشريعة (٢٥). كما يستند كذلك بما قاله ابن خلدون (١٣٣٢- ١٤٠٦م) في تعريفه للتصوف من انه ((من علوم الشريعة الحادثة في الملة ، واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، واصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة))(٢٦)).

ولعل نظرة التفتازاني الى التصوف من هذه الوجهة الاخلاقية وجعله علما للاخلاق الاسلامية ، تتفق مع ما جاء به فيلسوف مصري معاصر له اهتماماته في مجال الفلسفة الخلقية وهو توفيق الطويل (+١٩٩٠م) الذي يقول :((ويكاد لا يخطئ من يقول أن فلسفة الاخلاق في الاسلام ، قد بنيت في ظل التصوف ، ونمت بجهود اهله الذين عبروا بحياتهم العملية عن نوع من المثل الاخلاقي الاعلى ، وفلسفوه بتأويلاتهم للتجربة التي عاشوها))(٢٧) . كما تتطابق هذه النظرة مع ما جاء به ابن القيم (+٧٥١هـ) الذي يعتبره التفتازاني اطارا مرجعيا له في اقرار مفهوم التصوف حيث قال في ((مدارج السالكين)): واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على ان التصوف هو الخالق))(٢٨).

وكما يربط التفتازاني التصوف بالاخلاق ، يربطه كذلك بالعلم ، ذلك ان التصوف عنده لا يعارض العلم بل يوافقه في نتائجه ولكنه في الوقت نفسه يضبط مساره خوفا من الانحراف او الانجراف نحو الشرور ، ولذلك تراه يقول بدون تردد ((ومن الخطأ في رأينا ان نعزل العلم عن التصوف او القيم الخلاقية بدعوى الموضوعية ، فما الذي يمنع من ان يكون العالم بالكون وموجوداته مومنا بالله ، ومتخلقا بكل خلق رفيع ؟ الا يكون هذا ضمانا لعدم انحراف العلم في عصرنا عن مساره الطبيعي ، وهو نفع الانسان الى استخدامه في شرور لا يعلم الا الله وحده ماذا سيكون مداها في المستقبل؟))(٢٩).

ويفهم من هذا النص نقطتان يركز عليهما التفتازاني : الاولى انه كم يكون جميلا اذا استطاع الانسان ان يجمع بين العلم بالكون والتصوف من حيث هو قيم اخلاقية رفيعة ونزعة روحية مثالية تهدف الى النفاذ الى الحقيقة، ذلك ان مثل هذا الجمع يمكن ان يصل بالانسان الى ذروة الكمال(٣٠). والثانية انه يستخدم التصوف كاداة ايديولوجية يمكن ان تحد من جنوح الانسان وانحراف العلم عن طريقه الشريف الذي هو خدمة الانسان ، الى هدم الانسان والقضاء عليه . يقول التفتازاني بهذا الصدد :((والتصوف الحقيقي علاج للفرد وللمجتمع ، فهو يجنب الفرد شرورا كثيرة على رأسها الغرور بنفسه وبعلمه وبامكاناته ، وهو في نفس الوقت يحدث في المجتمعات التي تسودها فلسفات مادية نوعا من التوزان بين مطالب المادة ومطالب الروح))(٣١).

وتبدو هذه العلاقة بين التصوف والعلم من خلال طرف ثالث هو الاسلام .فالاسلام كما يرى التفتازاني ، يتفق مع العلم روحا ومنهجا . فهو (اي الاسلام) دين العقل لانه يدعو الى البحث الكوني ، وتسخير خيرات هذا الكون للانسان ، وبالتالي فان العلم الذي يقودنا الى معرفة الكون يقودنا في نفس الوقت الى العلم بالله ، ومن ثم فلا تعارض بين العلمين(٣٢) . ويقول الامام محمد عبده:((ان الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدينة))(٣٣) . ولما كان التصوف من وجهة نظر التفتازاني – وكما ذكرنا ذلك في وقت سابق – في اساسه خلق وهو يمثل

روح الاسلام ، فاذن لا تعارض بين حياة المتصوف وحياة العالم ما دام كل منهما - في نظر مفكرنا - هو تحقيق لرسالة الاسلام الذي لا يفصل فيه بين العقيدة والشريعة او بين حياة الروح وحياة البدن . وعلى هذا الاساس يرى التفتازاني ان الجمع بين الاثنين (المتصوف والعالم) هو امر يتفق مع الاسلام . ومن هذه الناحية ، فان الامتزاج الحقيقي بينهما هو في رأي التفتازاني كما هو في رأي الفيلسوف المعاصر برتراندرسل ((قمة السمو ، وهو شيء يمكن تحققه في عالم الفكر))(٣٤) . ويؤكد التفتازاني على هذه النظرة المتكاملة بين العلم والتصوف فيما يتعلق بالنظر الى العالم ، حينما يقول مستعينا في ذلك بالفيلسوف ((رسل)) :((وتأمل فيما يقوله رسل ايضا : ((اذا كانت لدينا الرؤية الصوفية للعالم ، وما يتجلى فيه من المرائي ، على انه يكتسي بنور سماوي ، فانه يمكن القول بوجود خير اسمى اعلى من ذلك الذي يتطلبه العقل ، وان ذلك الخير يغمر العالم كله ، وهذا الحب الكلي لكل ما يوجد ، ذو اهمية قصوى من حيث السلوك والسعادة في الحياة ، ويعطي للعاطفة الصوفية قمة لا يمكن تقديرها))(٣٥).

اما ما دفع التفتازاني الى ضرورة التكامل هذه بين النظرة والعلمية والنظرة الروحية او الصوفية ، فهو الرد على المادتين في هذا العصر وفي كل عصر ، ذلك لانهم لا يعتدون الا بالحس ولا يؤمنون الا بالعالم المادي . اما الصوفية فهم - في نظره - على العكس من ذلك ، يرون ان العالم المادي ليس غاية في ذاته وانما وراءه علة صانعة حكيمة مدبرة . صحيح ان الله اباح للانسان ان يشتغل بالبحث في المكونات ، او بالعلم المادي ، ولكنه امره في نفس الوقت- يقول التفتازاني - ((بعدم الوقوف عن حد المكونات ، وانما عليه ان يتجاوزها الى ما وراءها من الاسرار))(٣٦) ولعل هذا المعنى هو ما اشار اليه ابن عطاء الله السكندري حينما قال:((واباح لك ان تنظر ما في المكونات، وما اذن لك ان تقف مع ذوات المكونات))(٣٧) وهو في ذلك يستعين بقوله تعالى:((انظروا ماذا في السموات والارض)(٣٨).

واخيرا فان التصوف عند التفتازاني عبارة عن خبرة باطنية ، وليس شيئا مشتركا بين الناس جميعا . وهذه الخبرة الباطنية لا يمكن بالتالي الوقوف على كثير من جوانبها ، لانها تتعلق بالحياة الباطنية اكثر ما تتعلق بالمظهر الخارجي للانسان ، وبهذا يصطنع الصوفية منهجا خاصا بهم ليس من السهل اخضاعه للدراسة العلمية ، فهو منهج خاص باصحابه قاصر عليهم دون غيرهم . انه (اي المنهج) – من الناحية السيكولوجية – نوع من الاستبطان الذاتي ، كما ان الادراكات المباشرة التي يتوصل اليها الصوفي بهذا المنهج ادراكات خاصة لا يمكن اخضاعه للملاحظة الخارجية . وهكذا اذن يدرك الصوفية الله تعالى – يقول التفتازاني– ((ادراكا مباشرا مصحوبا بحالة وجدانية يصعب التعبير عنها بالالفاظ ، وهذا الادراك المباشر يسمى عندهم بالكشف))(٣٩). فالتجربة الصوفية اذن تجربة وجدانية يصعب وصفها لمن لم يسلكها ومن هنا كان ابن خلدون (١٣٣٢– ١٤٠٦م) اكثر دقة في ملاحظته عن الصوفية من هذه الناحية حين قال :((واما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فلكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما انه وجداني عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن اذواقهم فيه))(٤٠) . وربما تكون هذه الخاصية النفسية هي التي دفعت التفتازاني الى الاستفادة من دراسته لعلم النفس في تحليل مضمون هذه الخبرة الدينية ووسائلها ، ومن هنا جاء مقاله الذي بعنوان :((سيكولوجية التصوف))(٤١) وقد حاول فيه ان يرسم صورة عامة واضحة المعالم للطريق الذي يسلكه المتصوف بوجه عام والنواحي النفسية التي يعانيها اثناء تجربته.

لكن هذ امنهج الاستبطاني الذي يصطنعه الصوفية والذين يتخذون من القلب اداة لمعرفتهم ، لا يعني اهمال دور العقل ، بل هم يعترفون بهذا الاخير ولكن في مجال الظواهر الكونية المحسوسة. ، اما في مجال معرفة الله فالعقل عاجز عن ذلك . ومن هناك لا يتردد التفتازاني في القول بان العقل دعامة رئيسة من دعامات الاسلام وان الاسلام يتفق مع العلم روحا منهجا ، لان العقل هو الذي

يوجه الانسان الى خطوات منهج متكامل للكشف عن اسرار الكون وما فيه من كائنات(٤٢).

والان وبعد هذه الجولة السريعة حول معنى ومفهوم التصوف عند التفتازاني ، ننتقل الى دور التصوف وتأثيره في الحياة الاجتماعية كما يرى التفتازاني.

دور التصوف وتأثيره في الحياة الاجتماعية من منظور التفتازاني :

يرى التفتازاني أن مجتمعاتنا اليوم بحاجة ماسة إلى فلسفة إنسانية ، تهتم بالإنسان وتعنى به وتعلي من قيمته وتساعد على تطوره ، ذلك لأن الإنسان كان وما زال هو محور العالم ومركز ذلك الكون ... أما هذه الفلسفة – وكما أسلفنا – فهي التصوف وبالذات التصوف الأسلامي ، على أن يكون هذا التصوف فلسفة حياة متكامل يطبقها الصوفي في شتى مناحي الحياة بما فيها الحياة الإجتماعية وعلاقات الناس بعضهم مع بعض لنستمع إليه وهو يجسد فهمه للتصوف ، إذ يقول : " والتصوف في رأينا منهج كامل في الحياة ، والصوفي المحقق هو الذي لا يرى تعارضا بين حياته التعبدية وحياة المجتمع الذي يعيش فيه ، بل هو الذي يستعين بحياة التعبد على حياة المجتمع وما فيها من مشقة وكفاح ، والتصوف بهذا الأعتبار يعد " فلسفة إيجابية " تضفي على حياة الإنسان معنى ساميا"(٤٣).

ومن هنا ، ونظرا لهذا الترابط بين الحياة التعبدية للصوفي وبين مجتمعه ، فإن التفتازاني ينفي التهمة الموجهة الى الصوفية بأنهم قوم سلبيون ، ومن ثم فإنهم يصرفون الناس عن الكون المادي وعلومه الى الأغراق في العبادة والأنعزال عن المجتمع . فهذا – في نظره – تصور غير صحيح بالنسبة لصوفية الإسلام ، ذلك لأن التصوف الإسلامي هو الذي يعبر تعبيرا حقيقيا عن قيم الإسلام ، والأسلام دين جامع بين العمل الدنيوي والعمل الآخروي ، ولا يصرف الناس عن الأخذ بأسباب الدنيا وبخيراتيا(٤٤) . وهنا يحاول التفتازاني أن يعزز موقفه إما بآيات

من القرآن الكريم كقوله تعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق "(٤٥) ، أو بأقوال شخصيات صوفية مصرية قديمة أمثال أبن عطاء الله السكندري وشيخه أبي العباس المرسي ، ويذكر بهذا الصدد أن أبن عطاء السكندري جاء إلى أستاذه أبي العباس المرسي ، وفي نفسه أن يترك طلب العلم ويتفرغ لصحبة شيخه ، فقال له : " نحن إذا صحبنا تاجرا ما نقول له أترك تجارتك وتعال ، وإذا صحبنا نائب حكم لا نقول له أترك حكمك وتعال ، وإذا صحبنا طالب علم لا نقول له أترك عملك وتعال ، إنما نقر كل واحد على ما أقامه اله فيه ، وما قسم له على أيدينا فهو إليه واصل "(٤٦) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : ما هي المبادىء الإيجابية التي يتضمنها التصوف الأسلامي والتي يمكن أن تحقق تطور المجتمع إلى الأمام في نظر التفتازاني ؟

يجيب التفتازاني على ذلك بما يلي :

إن أول مبادىء التصوف ، في نظره ، والتي يمكن أن تحقق تطورا ما في المجتمع هو محاسبة الإنسان لنفسه بإستمرار ليصحح أخطاءها ويكملها بالفضائل ويجعل نظرته إلى الحياة معتدلة ، بلا يتها لك على شهواتها وينغمس في أسبابها إلى الحد الذي ينسى فيه نفسه وربه ، فيشقى شقاء لا حد له ، والتصوف يجعل من هذه الحياة وسيلة لا غاية ، يأخذ منها الإنسان ما يكفيه ولا يخضع لعبودية حب المال والجاه ، ولا يستعلي بهما على الآخرين ، وبهذا ، كما يقول التفتازاني ، يتحرر الإنسان من شهواته وأهوائه بإرادة حرة(٤٧) .

وواضح من قول التفتازاني أن محاسبة النفس ومخالفة أهوائها يدفع الإنسان دفعا الى العمل الإيجابي والإخلاص فيه ، مع تقدير كامل للمسؤولية ، بحيث لو حاسب كل فرد نفسه عما قدمه لمجتمعه لكان ذلك في رأيه كفيلا بتصحيح كثير من الأوضاع الخاطئة . وهنا يبدو التفتازاني متأثرا بالصوفي أبن عطاء الله السكندري في معنى محاسبة النفس ، حيث يقول الأخير : " أصل كل معصية وغفلة وشهوة

الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها " ، و " إذا التبس عليك أمران فأنظر أثقلهما على النفس فأتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا "(٤٨) .

ولاشك أن فكرة محاسبة النفس وأنتقادها هي فكرة قديمة وجدت لدى رهبان الأديرة المسيحية ، ولكن هذا لا يعني إرجاع التصوف الإسلامي إلى عناصر غير أسلامية كما يذهب إلى ذلك كثير من المستشرقين ، ذلك لأن التصوف الأسلامي ليس غريبا عن البيئة الأسلامية الأولى وعن طبيعة الثقافة الإسلامية ، بل إن التصوف – كما ذكر التفتازاني – بدأ قديما في صورة " زهد " واضح ، سواء في حياة الرسول عليه السلام ، أو في حياة الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب وأبي ذر الغفاري(٤٩) .

كما نلاحظ في قول التفتازاني السابق ذكره أن دعوته للقضاء على شهوات النفس وأهوائها ، هي في الأساس فكرة يونانية قديمة ، فهي موجودة لدى الفلاسفة : سقراط وأفلاطون وأرسطو وكذلك الرواقيون . ولكن هل هذا يعني أن التفتازاني متأثر بالفكر اليوناني القديم ؟ .

لا يعتقد الباحث ذلك بدلالة هذا الفارق الكبير بينهما وهو : أن فلاسفة اليونان هؤلاء كانوا يرون أن حياة الإنسان ينبغي أن تسير وفق مبدأ أو مثل أعلى يرفعها فوق حياة الحيوان ، والحياة الفاضلة في نظرهم هي التي تسير وفق عقل سليم ومن ثم يتحقق الخير ، أما التفتازاني ومعه متصوفه الإسلام فيرون أن حياة الإنسان ينبغي أن تسير وفق المبدأ الأعلى الذي جاء به الإسلام . وإذا كان شعار الرواقية : عش على وفاق الطبيعة ، أي بمقتضى العقل ، فإن شعار المتصوفة ومنهم التفتازاني فهو : عش على وفاق الشريعة ، أي بمقتضى الوحي .

وهكذا إذن يهتم التفتازاني وغيره من المتصوفة المسلمين بالإسلام الأخلاقي ، ويرى أن أهم ما يجب على الإنسان أن يقوم به هو أن يصوب أخلاقه وفق المثل الأعلى الذي جاءت به الشريعة الإسلامية ، وبذلك تكون كل الميادين التي

يخوضها الإنسان متوقفة على نجاحه في أن يغير من أخلاقياته ، وذلك إنطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " . وعليه فإن التقدمية الحقيقية في نظره " هي التقدمية الأخلاقية التي هي أساس ضروري ولازم لكل تقدمية إجتماعية "(٥٠) .

وبالمقابل فإن مفكرنا يرفض الإسلام السياسي الذي يدعو إلى التغيير في المجتمع على أساس من إستخدام العنف ، ويرى أن الرفق هو أساس التغيير ، وذلك عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من يحرم الرفق يحرم الخير كله " . وقوله : " ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ، وما دخل العنف في شيء إلا شانه "(٥١) . ويبدو إن التفتازاني في رفضه للعنف يريد - كما يعتقد الباحث - أن يرد على الجماعات الإسلامية المنتشرة في مصر وفي الجزائر وفي غيرها من البلدان العربية والإسلامية والتي تفضل الحوار بالنار على الحوار بالأفكار . وأن يرد أيضا ، ولو بشكل غير مباشر ، على أفكار ماركس الثورية التي تريد قلب نظام الحكم عن طريق إعتماد أساليب العنف والقوة التي لا تعرف المساومة وأنصاف الحلول .

والحقيقة أن التفتازاني من هذه الناحية ، أي من حيث إستخدام الرفق واللين من لدن الساسة تجاه رعاياهم ، يلقي مع أحد المتصوفة السابقين وربما يكون متأثرا به إلا وهو أبو بكر الطرطوشي (+٥٢٠ هـ) الذي دعا في كتابه " سراج الملوك " الى حسن السياسة والرفق مع الرعية ، ذلك أن حسن السياسة كما يقول " تكسو أهلها المحبة ، والفظاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول "(٥٢) .

وهنا تأخذ على التفتازاني في أنه يعول على عامل واحد في التغيير الإجتماعي ألا وهو الأخلاق التي تسير حسب مبادىء الإسلام ، أما الأقتصاد فإنه يغفله تماما وكأنه لا أهمية له في الحياة الإجتماعية وفي التغيير الإجتماعي ، وهذه نقيصة كبرى تسجل على مفكرنا ، ولا ندري كيف يمكن أن تقوم قائمة للمجتمع بدون أسباب طبيعية أو بيولوجية أو تكنولوجية أو ثقافية أو غيرها من الأسباب الواقعية

. وعلى كل الأحوال فإن هذا شيء متوقع وطبيعي من رجل متصوف ، ذلك لأنه يتعامل مع أحكام القلب والذوق والوجدان ، وهذه مخالفة لأحكام العقل .

وبعد محاسبة النفس ، يأتي دور الطرق الصوفية في الإسلام في التأثير في الحياة الإجتماعية ، وأهمية هذه الطرق – في نظر التفتازاني – تكمن في أنها تمثل الجانب العملي من التصوف ، وهو جانب أرتبط بحياة المجتمعات الإسلامية وجماهير الناس فيها عبر التاريخ أرتباطا مباشرا ، ودراسة هذا الجانب تبين مدى فعالية " القيم الصوفية " قوة وضعفا في واقع المجتمعات(٥٣) .

والتصوف في حقيقته كما يقول التفتازاني ، ليس نظريات نفسية أو أخلاقية أو ميتافزيقية بقدر ما هو طريقة في الحياة ، ورياضة عملية تمارس من أجل هدف معين هو تحقيق الكمال الأخلاقي الذي دعا إليه الإسلام(٥٤) . هذا وقد نبه الغزالي (+٥٠٥ هـ) إلى هذه النقطة حينما أشار إلى أنه لا يكفي أن تقرأ كتب الصوفية لتصبح صوفيا ، إذ أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل " ، وهم يقينا " أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال "(٥٥) .

وفي رأي التفتازاني أنه ينبغي على دارس التصوف أن يتتبع نظرياته المتنوعة في تطبيقاتها العملية ، الأمر الذي يساعده على فيمها أولا ، كما يتيح له أن يحكم على مدى فعاليتها وحيويتها ثانيا . ويسوق بهذا الصدد أمثلة من واقع حياة المتصوفة يشير فيها إلى آراء كبار شيوخ التصوف لم يكتب لها البقاء في العالم الإسلامي إلا من خلال الطرق العملية التي أسسوها ، والتي إنتشرت فيه إنتشارا واسعا ، وهذا ، في نظر مفكرنا ، من دلائل عظمة شخصياتهم ، وقدرتهم على القيادة الروحية للجماهير ، وهو أمر لم يتح لغيرهم من كبار مفكري الأسلام وفلاسفته الذين فضلوا منهج العقل وحده في تقرير مباحثهم النظرية ، فبقيت آراؤهم لهذا في نطاق محدود لا تتجاوزه إلى قلوب الجماهير وعقولهم إلا في النادر(٥٦) .

ولكي ندرك مدى مساهمة الطرق الصوفية في التأثير في الحياة الإجتماعية ، يدعونا التفتازاني إلى أن نلقي نظرة تأريخية موجزة على نشأة هذه الطرق

وإنتشارها في العالم الأسلامي المعاصر . ويذكر بهذا الصدد أنه عندما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلاني (+٥٦١ هـ) مؤسس الطريقة القادرية ، والشيخ أحمد الرفاعي (+٥٧٨ هـ) مؤسس الطريقة الرفاعية ، توالى شيوخ التصوف الكبار في الظهور في عدة أقطار إسلامية ، وألتف حولهم الأتباع والمريدون . وإستمرت الطرق الصوفية في الظهور والأنتشار منذ القرن السادس الهجري إلى يومنا هذا ، وتشعبت في جميع الأتجاهات من السنغال غربا إلى بلاد الصين شرقا ، وقامت في كثير من البلدان الأفريقية والآسيوية بنشر دعوة الإسلام، كما قاومت في كثير من الأحيان الأستعمار الأوربي المستتر وراء التبشير(٥٧). أما الغاية القصوى من الطريق الصوفي فهي - كما يشير التفتازاني - " غاية خلقية تتمثل في إنكار الذات والصدق في القول والعمل والصبر والخشوع ومحبة الغير والتوكل وغير ذلك من الفضائل التي دعا الإسلام إليها وكانت محورا دارت حوله أبحاث التصوف النظري "(٥٨) .

ونحن في الحقيقة لدينا بعض الملاحظات على العامل الثاني (أقصد الطرق الصوفية) نجملها في النقاط الآتية :

- يرى التفتازاني أن الطرق الصوفية كان لها دورها في مقاومة الأستعمار الأوربي المقنع بثوب التبشير ، لكنه للأسف لم يذكر واقعة واحدة من وقائع هذه المقاومة تثبت صحة ما يقوله سوى أنه يحيلنا إلى تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب " حاضر العالم الإسلامي " للمستشرق ستوارد . ونحن بدورنا حينما رجعنا إلى تعليقات الأمير شكيب حول هذه المقاومة لم نجد إلا شذرات مقتضبة لا تبين كيفية المقاومة ولا مدى فاعليتها ولا حتى نتائجها ، كقوله مثلا : " إن الاسلام قد نهض نهضة ثالثة على أيدي مشايخ الطرق أو الأخوان ، وذلك أنه في أواخر القرن الثامن عشر ، لما دخلت الدعوة البروتستانتية من كل نوع إلى أفريقية ، وضاعفت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجاهديها بسائق المنافسة ، كان لابد من أن يتنبه الإسلام لمقاومة النصرانية ، وأن يشتد الصراع بين هاتين القوتين المتقابلتين ، مقرنا ذلك بالأهواء السياسية ، التي تزيده شدة وحدة . وأكثر أسباب

هذه النهضة الأخيرة راجعة الى التصوف " . وقوله أيضا : " وكـــان للدرقاويـــة (وهي من أتباع الشاذلية) دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسي " ، وقوله كذلـك : " لم تقف التيجانية عن إستعمال القوة في مخاصمة أقرانهم ونشر العقيدة الأسـلامية " . وقوله رابعا : " إن مريدي الطريقة القادرية كانوا يرسلون النجباء من التلاميـــذ على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس ، والجامع الأزهر بمصر ... ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المســـيحي فـــي السودان "(٥٩) .

– يعول مفكرنا كثيرا على عظمة شخصيات المتصوفة من المسلمين وقدرتهم على القيادة الروحية للجماهير ، بينما ينتقص من قيمة وتأثير مفكر الإسلام وفلاســفته ، ذلك لأن الأخيرين آثروا منهج العقل وحده دون منهج الذوق والوجدان .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : من يصنع التأريخ ؟ هل هم الأفراد والعظماء والنبلاء والشخصيات أم الجماهير ؟ إننا لو إستعرضنا التاريخ العربي الأســـلامي في حقيقته وليس الذي كتبه المؤرخون المثـــاليون أمثـــال الطـــبري والبـــلاذري والمسعودي ومسكويه وغيرهم ، لوجدنا أن الجماهير الشعبية هي التي تفرز القـادة والأبطال . فالقائد العظيم الذي يلمع أسمه كبطل ترتبط الأحداث بأسمه هـــو فـــي الواقع قائد يعبر عن إرادة الجماهير ويشق طريقه بجهدها ، وفشله أو نجاحه إنمـــا يفسر بمقدار تجاوبه أو عدم تجاوبه مع الجماهير الذي نصبتـــه أو نصـــب نفســـه للتعبير عنها . ولذلك يمكن القول إن البطل الذي يصنع التاريخ هو بطل صنعـــه التاريخ .

– يدعي التفتازاني أن الطرق الصوفية إستطاعت بقيادة مؤسسيها أن تستقطب إليها الأتباع والمريدين وأن تقوم بنشر دعوة الإسلام ، ثم يسمي هذا تغييرا إجتماعيا .

والسؤال الذي يمكن أن نوجهه إليه هو : أين يكمن هذا التغيـــير ؟ هـــل بمجـــرد إستقطاب " البسطاء " من الأتباع والمريدين يعتبر تغييرا أجتماعيا ؟ ثم هل بمقدرة هؤلاء (البسطاء أو الدراويش) الغير واعين على ما يجري في الســـاحة العربيـــة

والأسلامية ، التأثير على من هم أعلى منهم ثقافة وفكرا وخصوصا أن التفتازاني نفسه يعترف بأن الطرق الصوفية الآن وفيما مضى كان يشوبها " بعض الشوائب " بينها ضعف المستوى العلمي والثقافي لبعض مشايخها ، وكثير من أتباعها ؟ "(٦٠) ، ثم لماذا لم يقم هؤلاء المتصوفة وأتباعهم بنشر دعوة الأسلام في أوربا وأمريكا وأستراليا وغيرها فيحدوثوا في مجتمعاتهم تغييرا كالتغيير الذي حدث في آسيا وأفريقيا كما يقولون ؟ أليس الأجدر بهم أن يطلعوا على تكنولوجية الغرب وعلمه فيحدثوا تغييرا في مجتمعاتنا كالتغيير الذي حصل عندهم ؟

أما المبدأ الثالث أو العامل الثالث الذي يعول عليه التفتازاني وغيره من المتصوفة ليغير من المجتمع المعاصر ، هو فتح باب الرجاء في الله ، إذ يجب على الإنسان ألا ييأس من رحمة الله ، ولا يستعظم الذنب الذي يقع منه ، وهذا في رأي مفكرنا من أقوى الوسائل وأكثرها فاعلية في سير الإنسان قدما في طريق الله ، وفي جذب الناس إلى حظيرة الدين "(٦١) .

ومن أهم شروط الرجاء في نظره أن يقارنه عمل ، وإلا كان مجرد أمنية ، والتمني مخالف للعبودية . وهو هنا يبدو متأثرا بأبن عطاء الله السكندري الذي يقول في حكمة من حكمه : " الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية "(٦٢) ، بل هو يعتبر هذه الحكمة العطائية جديرة بأن يفيد فيها الناس في حياتهم اليومية ، ذلك أن الإنسان ، أي إنسان ، كثيرا ما ينطوي على نفسه متمنيا لها الأماني المختلفة فيضيع وقته في التمني ولا يصل الى هدف ما ، أما لو أشغل وقت التمني بالعمل لوصل – أو ساهم على الأقل في الوصول – إلى هذا الذي يتمناه دون إضاعة وقت .

ولكن أي عمل يقصد التفتازاني والذي به يصل الإنسان إلى مبتغاه ؟ هل هو العمل الجسدي أم الفكري أم الأثنين معا ؟ ثم إلى أين يوجه مثل هذا العمل ؟ .

إن التفتازاني لا يحدد طبيعة العمل الذي يبتغي أن يقوم به الإنسان ، ولكنه فقط يشير إلى أنه " العمل المتواصل الشاق "(٦٣) الذي يقارن الرجاء في الله . وبذلك

يكون الرجاء - كما يقول - " دافعا إلى العمل الأيجابي المنتج ، وليس دافعا إلى الهروب والنكوص وإضاعة الوقت في التخيلات والأوهام الكاذبة "(٦٤) .

ونحن من جهتنا نعتقد ، من خلال كتابات التفتازاني الصوفية عن أبن سبعين أو عن أبن عطاء الله السكندري وغيرهما من المتصوفة ، أن المقصود بالعمل المشار إليه سابقا هو الصلاة والصوم وتلاوة الأوراد وترديد الذكر وما إلى ذلك ، بغية التقرب إلى الله والتي بدونها لا يتهيأ للسالك هذا الوصول على أن يأخذ بالأعتبار أن أعماله وطاعاته على أختلافها ليست منه بأرادته ، وإنما هي من الله بمحض فضله(٦٥) .

والرجاء في الله في نظر التفتازاني يقتضي كذلك ألا يستعظم الإنسان ذنبه ، ويياس مما هو فيه يأسا يدفعه الى عدم التوبه عنه ، ولو عرف الإنسان ربه بما هو عليه من صفات الحلم والكرم والفضل والمغفرة لأستصغر ذنبه مهما عظم(٦٦) .

ولعل من أبرز مساهمات التصوف في عصرنا الحاضر في تغيير المجتمعات العربية والأسلامية ، كما يرى التفتازاني ، طريقة الدعوة الى الله(٦٧) ، وذلك من خلال الحوار البناء والكتابة العلمية المتأنية المستنيرة في مجال الأسلام ، عقيدة وشريعة وأخلاقا . ويستقرىء مفكرنا وقائع من تاريخ الأسلام لتعزيز موقفه ، فيذكر بهذا الصدد أن الأسلام واجه في العصر العباسي مثلا آراء إلحادية ، ومذاهب أشد وطأة من المذاهب المعروفة في عصرنا ، وتصدى لها علماء العقائد بالرد حتى أبطلوها ، وأقصوا خطرها عن المجتمعات الأسلامية في ذلك الوقت(٦٨) . أما طريقة الدعوة التي تلجأ إليها بعض الجماعات الإسلامية والتي تتخذ لها أهدافا سياسية ، فذلك مرفوض في نظره بسبب إتخاذها العنف والقهر أسلوبا للتغيير كما أسلفنا ذلك في وقت سابق من هذا البحث .

ومن أفضل الوسائل ، في نظره ، والتي تمكن الداعية في عصرنا الحاضر من أن يدعو للإسلام ، علمه بالعقيدة الصحيحة ، وبجملة الأحكام الشرعية ، وبسيرة النبي

صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وأن يكون ملما بعلم الحديث ، وبتأريخ الأسلام وحركة هذا التاريخ ، مطلعا على أبرز معالم الحضارة الأسلامية ، وأهم من ذلك كله أن يكون متخلقا بخلق الإسلام بحيث يكون القدوة الحسنة لغيره في حاله ومقامه وسلوكه ، بقول آخر ينبغي أن ينهج منهج التصوف الإسلامي في الدعوة الى الله(٦٩) ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني)(٧٠) . والبصيرة في الآية الكريمة تعني كما يقول الأمام فخر الدين الرازي أن يكون الداعية " على هدى ويقين ، فإذا لم يكن كذلك فهو محض مغرور "(٧١) . ويقول الراغب الأصفهاني في تفسير كلمة : على بصيرة ، أنها تعني المعرفة والتحقق(٧٢) ، وأهل المعرفة هم الذين تخلقوا بأخلاق الرسول ، وعلى رأسها خلق الرحمة والشفقة على عباد الله ، ينهجون نهجه في الدعوة إلى طريق الله بالرفق لا بالعنف . وأما أهل التحقق فهم الذين يحصل لهم باليقين عن طريق الذوق والكشف . ومن هنا يفرق التفتازاني بين الدعاة الى الله حقا وعلى بصيرة ، وبين المغرورين الذين ليسوا من أهل المعرفة والتحقق والذين لم يرتاضوا على خلق الرحمة والتواضع في الدعوة ، ولم يقتدوا بصاحب الرسالة في سنته وطريقته ، والذين يسارعون في دعوة الناس الى الله دون تهذيب نفوسهم ودون أن يكونوا من أهل الذوق في فهم الأحكام والعمل بها(٧٣) .

أما أفعل أساليب الدعوة الى الله عن التفتازاني بخاصة والمتصوفة بعامة ، إشاعة الحب في المجتمع . والحقيقة أن هذه الفكرة هي – في نظر الباحث – من أحسن ما كتبه التفتازاني ، ذلك أن الحب كعلاقة إجتماعية هي التي ينبغي أن تسود الأسرة والمجتمع والأقارب ، بل والدول وخاصة العربية والأسلامية التي هي في أمس الحاجة إليها ، ذلك لأن الحب يخفض التوتر ويقرب المسافات ويقضي على أسباب الفرقة والشقاق ، وهكذا يقول التفتازاني : " إن الداعية الى الله لا ينبغي أن يغفل عن إشاعة الحب بمختلف صوره بين الناس في المجتمع ، لأن هذا يدعو إلى تماسك المجتمع ، ولا كذلك مشاعر الحقد والصراع "(٧٤) . والحب – كما يرى

التفتازاني – على درجات ، أعلاها درجة حب الإنسان لله ، ثم حب الإنسان للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم حب أهل البيت ، ثم حب المسلم للمسلم(٧٥) .

ولا شك أن الحب وإشاعته بين الناس يمكن أن يحدث تغييرا في المجتمع إلى الأفضل وخصوصا أن علاقة الحب تتميز ضمنا بخاصية الأختيار المتبادل بين طرفي المعادلة ، أما إكراه الناس على الحب من طرف واحد فإن ذلك يفسد هذه العلاقة ويعجل في زوالها.

وتجدر الأشارة إلى أن التفتازاني والصوفية ليسوا هم الوحيدين الذين عالجوا مسألة الحب وتأثيره في حياة المجتمع وتطوره ، بل إن التراث العربي والدراسات المعاصرة حافلة بالمؤلفات التي تعرضت لهذا الموضوع ، مع إختلاف في طريقة المعالجة نظرا لأختلاف البيئات الأدبية والفكرية التي عاش فيها هؤلاء المفكرون ، ونذكر منها على سبيل المثال ، لا الحصر " ذم الهوى " لأبن الجوزي ، و " طوق الحمامة " لأبن حزم ، و " روضة المحبين ونزهة المشتاقين " لأبن قيم الجوزية ، و " مدامع العشاق " الذي نشره الدكتور زكي مبارك سنة ١٩٢٥م ، و " مشكلة الحب " لزكريا أبراهيم ، وغيرها كثير(٧٦) .

تلك كانت بشكل عام المبادىء والعوامل الرئيسة التي أبرزها التفتازاني ، والتي يمكن أن تسهم في تغغير المجتمع إلى الأفضل . وإذا كانت هذه هي الغاية القريبة ، فإن الغاية البعيدة ، في نظره ، هي الوقوف بحزم ضد التيارات والمذاهب والأفكار المادية والعبثية التي تحاول كما يقول أن تهاجم الإسلام . ومن هنا فإنه ينبهنا إلى أهمية التصوف الأسلامي بأعتباره الجرعة الروحية لعلاج مثل هذه المذاهب والأفكار في مجتمعنا . وهكذا يقول : إذا كان التصوف الأسلامي خلق وسلوك ، فنحن أحوج ما نكون في هذا العصر " إلى قيم الإسلام وروحانياته ، ليحس الإنسان بأن لحياته معنى يعيش من أجله ، وليغير معاييره في الحكم على الأشياء ، في عصر غلب فيه على الناس قياس كل شيء بمقياس المادة ، ولم يعد الناس – اللهم إلا قلة قليلة – يعطون أهتماما للجانب الروحي والإنساني "(٧٧) .

والسؤال الذي يطرح نفسه أخيرا هو : هل إستطاع التفتازاني من خلال طرحه للتصوف كبديل للطروحات الأخرى ، أن يغير من المجتمع المصري بشكل خاص ، والمجتمع العربي والأسلامي بشكل عام ، وأن يطوره إلى الأفضل ، وأن يضمد الجراح التي تعانيها مجتمعاتنا ؟

الجوانب بالنفي ، ذلك لأن التغير الأجتماعي وأنتقال المجتمع من حال إلى حال أخرى ، له أسبابه وعوامله الواقعية كالبيئة الطبيعية ، والعامل السكاني ، والتكنولوجي ، والفعل الإنساني الهادف ، وغيرها ، وهذه لم يمسها التفتازاني بالمعالجة لا من قريب ولا من بعيد . ثم كيف يمكن لأناس مثل المتصوفة يقبعون في زواياهم وتكاياهم لأجل الذكر ، ثم يقولون للناس : تغيروا ، أعملوا ، أفعلوا ... إننا ها هنا قاعدون . إن التغيير يحتاج إلى عمل وإلى ثورة وممارسة ، وهذه حلقات مفقودة عند التفتازاني . وحتى العلم الذي ربطه بالتصوف لم يكن ، في نظر الباحث ، أكثر من إيهام الناس بأن التصوف ليس هروبا من واقع الحياة اليومية المعاشة ، والصحيح، كما نرى، أنه (أي التصوف) كان ولا يزال يساهم في مشروعة الواقع الراهن بكل سلبياته. وهنا يحضرني قول المسكويه (+ ٤٢١هـ) يتجلى فيه بوضوح رفضه للأخلاق الصوفية أو النزعة الصوفية ، وذلك بسبب أنعزال المتصوفة عن حياة الناس وعدم مشاركتهم في الحياة العامة ، يقول مسكويه : إن " القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم ، إما بملازمة المغارات في الجبال ، وأما ببناء الصوامع ... وأما بالسياحة في البلدان ، لا يحصل لهم شيء من الفضائل الإنسانية ... وإذا لم تظهر فيهم أضداد الفضائل (أي الشرور) ظن الناس بهم أنهم أفاضل . وليست الفضائل أعداما ، بل هي أفعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي المعاملات وضروب الأجتماعات(٧٨) .

وهكذا إذن كان حديث التفتازاني حديثا إصلاحيا وتغطية على جراح المجتمع وآلامه ، ذلك لأنه قدم حلولا غير واقعية (الفكر الصوفي الميتافيزيقي) لمشاكل واقعية إقتصادية وسياسية وثقافية .

أيا كان الأمر ، ومهما تكن الملاحظات التي أبديناها هنا وفي سياق البحث ، فإنه يكفي التفتازاني قيمة أنه حاول أن يتصدى لما يسمى بالوقت الحاضر بأسم " الغزو الثقافي " ، ذلك أن الناس – كما تبدوا له – ينقسمون بإزاء هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام : فمنهم من يركن إلى الأتباع والتقليد لكل ما هو وافد وجديد دون وعي أو تفكير حر ، ومنهم من لا يكترث بالموازنة بين ما يفد إليه وما نشأ عليه ، ومنهم من يحيون مشكلة الغزو الفكري ويعانونها معاناة حقيقية بهدف إيجاد حل لها ، يكفل عدم ذوبانهم في فكر الغير ، وضياع شخصيتهم المتميزة(٧٩) . وكان هو أحد أبناء الفريق الثالث . ويقول في موضوع آخر : إن " الأنفتاح على فكر العصر وثقافاته امر ضروري ، ولكن لابد من الاعتماد في نفس الوقت إلى تراثنا الديني والفكري والحضاري ، وعندئذ تجمع ثقافتنا بين الأصالة من ناحية والمعاصرة من ناحية أخرى ، وهذا يتحقق في رأينا من خلال خطط مدروسة في مؤسسات التعليم والجامعات ، وأجهزة الثقافة ، ودور النشر ، وأجهزة الأعلام لتحصين شبابنا دائما بالقيم الإنسانية السليمة بإزاء ما هو وافد إليهم من الأيديولوجيات والثقافات الأجنبية ، فلا ينساقون وراءها إنسياقا ، ويعجبون بها إعجابا يلغي كياناتيم وشخصياتهم ، ويتصفون بالتبعية للغير في فكرهم أو ثقافتهم " (٨٠) .

الخلاصة :

نستطيع مما تقدم أن نقول : لقد حاول أبو الوفا التفتازاني أن يضع صياغة جديدة لعلم التصوف تلبي أحتياجاتنا الفكرية والروحية في مواجهة أيديولوجيات العصر الوافدة إلينا ، على أن تأخذ بعين الأعتبار الأسس والمعايير الآتية :

١. رد نشأة التصوف إلى أصلها من الكتاب والسنة ، وبالتالي فلا داعي للبحث عن أصول أجنبية له ، ومن هنا يرى التفتازاني أن التصوف عبارة عن أخلاقيات مستمدة من الأسلام نفسه .

٢. ضرورة الجمع بين التصوف والعلم ، وهذا من شأنه أن يحل المسلم المعاصر الذي يتردد بين الأخذ بالقديم أو الأخذ بالجديد ، ذلك أن التصرف - في نظر مفكرنا - يؤدي الى ربط المسلم بجذوره وتراثه وقيمه ويحفظ له هويته ، بينما العلم يحقق له التقدم الحضاري . وهو في هذا يتفق مع الشيخ محمد عبده الذي كان أكبر دعاة الملاءمة بين التراث والحضارة الحديثة دون أن تفقد الشعوب الأسلامية هويتها الحضارية .

٣. التصوف عنده علاج للفرد والمجتمع ، ولكنه يبدأ أولا بمعالجة الفرد ، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع .

٤. التصوف في رأيه منهج كامل في الحياة ، والصوفي الحقيقي هو الذي لا يرى تعارضا بين حياته التنسكية وحياة المجتمع الذي يعيش في كنفه .

٥. التصوف الأسلامي عنده يتضمن مبادىء أيجابية يمكن أن تسهم في التغيير الأجتماعي ومن ثم تطور المجتمع إلى الأمام . ومن هذه المبادى : محاسبة الإنسان لنفسه ، مبدأ الزهد ، طريقة الدعوة الى الله ، فتح باب الرجاء في الله لكي ينعم الإنسان بالأستقرار النفسي ، الأرتفاع فوق الشهوات والاهواء بإرادة حرة ولكن وفق تعاليم الأسلام وقوانينه ، إضافة إلى نشر الحب والصداقة بين الناس ، وهذا من شأنه أن يؤدي الى تماسك الأسرة والمجتمع ضد التفكك والأنحلال .

٦. أهمية الربط بين التصوف والدراسات النفسية الحديثة ، ذلك لأن التصوف حالات وجدانية خاصة ، ومن ثم فإن دراسته من الوجهة السيكولوجية تعتمد أعتمادا كبيرا على المنهج الأستبطاني في علم النفس ، الأمر الذي يزيد الفكرة الصوفية إيضاحا وفهما .

على هذا النحو كانت جهود أبي الوفا التفتازاني البحثية في مجال علم التصوف الإسلامي، وهو ولا شك قد أجتهد في صياغة علم في التصوف جديد قادر – في نظره – على مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة متخذا من الأسلام نقطة الأنطلاق لكل حركة إجتيادية.

الهوامش :

(١) التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي. " محمد مصطفى حلمي ودراسات التصوف الأسلامي " ، (مجلة الفكر المعاصر – القاهرة ، ع٥٢ ، ١٩٦٩م) ، ص٢١ .

(٢) التفتازاني، أبو الوفا . " الأسلام والفكر الوجودي المعاصر " ، (مجلة المسلم المعاصر ، بيروت ، ع٢٠ ، ١٩٧٩م) ، ص١٠ .

(٣) التفتازاني، أبو الوفا . علم الكلام وبعض مشكلاته ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م ، ص(ج) .

(٤) التفتازاني، أبو الوفا . مدخل إلى التصوف الأسلامي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م ، ص(ج) .

(٥) حول هذه المقالات ، أنظر : العدد الخاص عن أبي الوفا التفتازاني الصادر عن الجمعية الفلسفية المصرية (ع٤ ، السنة الرابعة ، يناير ١٩٩٦م) .

(٦) التفتازاني، علم الكلام وبعض مشكلاته ، مصدر سابق ، ص(١) .

(٧) المصدر السابق ، ص(ب) .

(٨) عبد الرزاق ، مصطفى ، تمهيد لتأريخ الفلسفة الأسلامية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص٢٧ ،٤٧ .

(٩) التفتازاني، مدخل إلى التصوف الأسلامي ، مصدر سابق ، ص٦-٨ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص٨ .

(11) James , William , The varieties of experience , New American Library , New York , 1958 , P. 292-293 .

(12) Stace , W. T. Mysticism and Philosophy , Macmillan , London , 1961 , P. 34-35 .

(13) Russell , Bertrand . Mysticism and logic , and other essays . London , George Allen and Unwin Ltd., 1959 , P. 9-10 .

وأنظر أيضا بحثنا للتفتازاني بعنوان : " نظرة إلى الكشف الصوفي " ، (مجلة الفكر المعاصر ، ع٣٤ - القاهرة - ديسمبر ١٩٦٧م) ، ص٣٦ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص(د) .

(١٥) التفتازاني، أبو الوفا ، محاضرات في التصوف الأسلامي ، القاهرة : دار الشباب للطباعة ، ١٩٨٠م ، ص٥ . وأنظر أيضا كتابه : مدخل إلى التصوف الأسلامي ، مصدر سابق ، ص١٢ .

(١٦) المرزوقي ، جمال ، " الدكتور أبو الوفا التفتازاني والتصوف الأيجابي " ، من الكتاب التذكاري : " الدكتور أبو الوفا التفتازاني أستاذا للتصوف ومفكرا إسلاميا " . إشراف وتصدير عاطف العراقي ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الهداية للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م ، ص٢٩٤ .

(١٧) أنظر : محمود ، زكي نجيب ، المنطق الوضعي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ج١ ، ١٩٦١م ، ص٢٨٠ .

(١٨) التفتازاني ، محاضرات في التصوف الأسلامي ، مصدر سابق ، ص٦ ، ومدخل الى التصوف الأسلامي ، مصدر سابق ، ص١٢ وما يليها .

(١٩) المصدران السابقان : الأول ، ص٧ ، والثاني ص١٣ .

(٢٠) سورة المؤمنون ، الآية ٩ .

(٢١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .

(٢٢) التفتازاني ، محاضرات في التصوف الأسلامي ، ص٧-٨ ، ومدخل الى التصوف الأسلامي ، ص١٣-١٤ .

(٢٣) التفتازاني ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص٥ .

(٢٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢٥) الشعراني ، أبو المواهب ، عبد الوهـــاب ، الطبقـــات الكـــبرى ، الطبعـــة الأولى ، القاهرة :مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـــ / ١٩٥٤م ، ص٤ .

(٢٦) أبن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة أبن خلدون ، تحقيق علي عبـــد الواحـــد وافي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م ، ج٣ ، ص١٠٩٧ .

(٢٧) الطويل ، توفيق ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، الطبعـــة الرابعـــة ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م ، ص١٦٥ .

(٢٨) التفتازاني ، أبو الوفا ، محاضرات في التصوف الأسلامي ، ص٥ .

(٢٩) التفتازاني ، أبو الوفا ، الإنسان والكون في الأسلام ، القاهرة : دار الثقافـــة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ن ، ص٩٦-٩٧ . وأنظر أيضا للمؤلف نفســـه وتحـــت العنوان نفسه : (مجلة عالم الفكر ، مج١ ، ع٣ ، ١٩٧٠م) ، ص١٣٩ .

(٣٠) التفتازاني ، الأنسان والكون في الأسلام ، ص٨٨ .

(٣١) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص١١ .

(٣٣) عبده ، الإمام محمد ، الأسلام دين العلم والمدنية ، بيروت : منشـــورات دار مكتبة الحياة ، ١٤٠٩هـــ /١٩٨٩م ، ص١٧٥ .

(٣٤) التفتازاني ، الإنسان والكون في الأسلام ، ص٩٧ .

(٣٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٩١ .

(٣٧) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٨) سورة يونس ، الآية ١٠١ .

(٣٩) التفتازاني ، أبو الوفا ، " المعرفة الصوفية " : أداتها ومنهجيتها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين " . (مجلة الرسالة القاهرية ، ع٩٣٢ ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م) ، ص٥٥٣ .

(٤٠) مقدمة أبن خلدون ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١١١٣ .

(٤١) التفتازاني ، أبو الوفا ، " سيكولوجية التصوف " ، من كتاب : الجمعية الفلسفية المصرية ، مرجع سابق ، ص٧٥-٨٦ ، وهو عدد خاص عن التفتازاني .

(٤٢) التفتازاني ، أبو الوفا ، الأنسان والكون في الأسلام ، ص٤٥ .

(٤٣) التفتازاني ، أبو الوفا ، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص(ل) .

(٤٤) التفتازاني ، أبو الوفا ، الإنسان والكون في الأسلام ، ص٨٩ .

(٤٥) سورة الأعراف ، آية ٣٢ .

(٤٦) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتماعي " ، (مجلة المسلم المعاصر ، العددان (٦٧-٦٨) ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص١٦٧-١٦٨ .

(٤٧) التفتازاني ، أبو الوفا ، مدخل الى التصوف الأسلامي ، ص(ج) .

(٤٨) التفتازاني ، أبو الوفا ، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص(ز) .

(٤٩) التفتازاني ، أبو الوفا ، مدخل الى التصوف الأسلامي ، ص٤٣ ، ٥١ ، ٧٢ .

(٥٠) التفتازاني ، أبو الوفا ، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص(ي) .

(٥١) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتماعي " ، ص١٦٨ .

(٥٢) الطرطوشي ، أبو بكر محمد ، سراج الملوك ، الطبعة الأولى ، القـــاهرة : المطبعة المحمودية ، ١٣٥٤هـ /١٩٣٥م ، ص١٠٨ .

(٥٣) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الطرق الصوفية في مصر " ، (مجلة كليـــة الآداب القاهرية ، مج٢٥ ، ج٢ ، ديسمبر ١٩٦٣م) ، ص٥٥ .

(٥٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٥٥) الغزالي ، حامد ، المنقذ من الضلال ، حققه وقدم له جميل صليبـــا وكـــامل عياد ، بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ، بلا تاريخ ، ص١٣١ ، ١٢٣ .

(٥٦) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الطرق الصوفية في مصر " ، ص٥٥-٥٦ .

(٥٧) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الصراع الأيديولوجي بين أصحـــاب الأتجاهـــات المختلفة في قضية الهوية العربية والتراث وأنعاكساته على الثقافة " مـــن كتـــاب تكنولوجيا تنمية المجتمع العربي في ضوء الهوية والتراث " ، القاهرة : العربيـــة للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م ، ص١٦١ .

(٥٨) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الطرق الصوفية في مصر " ، ص٦١ .

(٥٩) أنظر : ستودارد ، لوثرب ، حاضر العالم الأسلامي ، نقلة الـــى العربيـــة عجاج نويهض ، تعليق الأمير شكيب أرسلان ، الطبعة الرابعة ، بـــيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م ، ج٢ ، ص٣٩٣ ، ٣٩٦ .

(٦٠) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الطرق الصوفية في مصر " ، ص٧٠ .

(٦١) التفتازاني ، أبو الوفا ، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص٢٤٣ .

(٦٢) المصدر نفسه ، ص٢٤٤ .

(٦٣) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتمـــاعي " ، ص١٧٢ .

(٦٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٥) التفتازاني ، أبو الوفا ، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، ص٢١٥ ومـــا يليها ، وأبن سبعين وفلسفته ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتـــاب اللبنـــاني ، ١٩٧٣م ، ص٤٠٨ وما يليها .

(٦٦) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتمـــاعي " ، ص١٧٢ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص١٧٠ .

(٦٨) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧٠) سورة يوسف ، آية ١٠٨ .

(٧١) فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار إحيـــاء التراث العربي ، ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م ، مج٦ ، ص٥٢٠ .

(٧٢) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين ، المفردات في غريـــب القـــرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، القاهرة : مطبعة مصطفـــى البـــابي الحلبـــي ، ١٣٨١هـــ / ١٩٦٣م ، ص٤٩ .

(٧٣) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتماعي " ، ص١٧١.

(٧٤) المصدر نفسه ، ص١٧٢ .

(٧٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧٦) حول هذه المؤلفات وموضوعها ، أنظر :

الشاروني ، يوسف ، الحب والصداقة في التراث العربي والدراسات المعـــاصرة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٢ م .

(٧٧) التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتماعي " ، ص١٧٤

(٧٨) مسكويه ، أبو علي أحمد . تهذيب الأخلاق ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت : مطبعة الجامعة الأميركية ، ١٩٦٦ ، ص٢٩-٣٠ .

(٧٩) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الأنسان والكون في الأسلام " ، ص١٠-١١ .

(٨٠) التفتازاني ، أبو الوفا ، " الصراع الأيديولوجي بين أصحاب الأتجاهات المختلفة في قضية الهوية العربية والتراث وأنعاكساته على الثقافة " ، مصدر سابق ، ص١٧٧ .

المصادر والمراجع :

- أبن خلدون ، عبد الرحمن . مقدمة أبن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م .

- التفتازاني ، أبو الوفا الغنيمي ، الأنسان والكون في الأسلام ، القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، الأنسان والكون في الأسلام ، (مجلة عالم الفكر ، مج١ ، ع٣ ، ١٩٧٠م) .

- التفتازاني ، أبو الوفا، مدخل الى التصوف الأسلامي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار الثقافة والنشر والتووزيع ، ١٩٨٣م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، علم الكلام وبعض مشكلاته ، القاهرة ، دار القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، محاضرات في التصوف الأسلامي ، القاهرة : دار الشباب للطباعة ، ١٩٨٠م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، أبن سبعين وفلسفته الصوفية ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، أبن عطاء الله السكندري وتصوفه ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " الأسلام والفكر اوجودي المعاصر " ، (مجلة المسلم المعاصر ، بيروت ، ع٢٠ ، ١٩٧٩م) ، ص٩-٢٣ .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " الصراع الأيديولوجي بين أصحاب الأتجاهات المختلفة في قضية الهوية العربية والتراث وأنعاكساته على الثقافة " من كتاب (تكنولوجيا

تنمية المجتمع العربي في ضوء الهوية والتراث) ، القاهرة : العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م ، ص١٥٧-١٥٨ .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " الطرق الصوفية في مصر " ، (مجلة كلية الآداب - القاهرة ، مج٢٥ ، ج٢ ، ١٩٦٣م) ، ص٥٥-٨٤ .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " نظرة الى الكشف الصوفي " ، (مجلة الفكر المعاصر - القاهرة ، ع٣٤ ، ١٩٦٧م) ، ص٣٣-٤٠ .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " محمد مصطفى حلمي ودراسات التصوف الأسلامي " ، (مجلة الفكر المعاصر - القاهرة ، ع٥٢ ، ١٩٦٩م) ، ص١٧-٢٣ .

- التفتازاني ، أبو الوفا، " المعرفة الصوفية " : أداتها ومنهجيتها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين " . (مجلة الرسالة القاهرية ، ع٩٣٢ ، ١٣٧٠هـ /١٩٥١م) ، ص٥٥٠-٥٥٤ ، وع٩٣٣ ، ص٥٧٦-٥٧٧ .

- التفتازاني ، أبو الوفا ، " دور التصوف في التغيير الأجتماعي " ، (مجلة المسلم المعاصر ، العددان (٦٧-٦٨) ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص١٦٧-١٧٤ .

- الدكتور أبو الوفا التفتازاني أستاذا للتصوف ومفكرا إسلاميا " . إشراف وتصدير عاطف العراقي ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الهداية للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

- عدد خاص عن المرحوم أبو الوفا التفتازاني ، كتاب صادر عن (الجمعية الفلسفية المصرية ، ع٤ ، السنة الرابعة ، ١٩٩٦م) .

- ستودارد ، لوثرب ، حاضر العالم الأسلامي ، نقلة الى العربية عجاج نويهض ، تعليق الأمير شكيب أرسلان ، الطبعة الرابعة ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م .

- الشاروني ، يوسف ، الحب والصداقة في التراث العربي والدراسات المعاصرة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٢ م .

- الطرطوشي ، أبو بكر محمد ، سراج الملوك ، الطبعة الأولى ، القاهرة : المطبعة المحمودية ، ١٣٥٤هـ /١٩٣٥م .

- الطويل ، توفيق ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م .

- عبد الرزاق ، مصطفى ، تمهيد لتأريخ الفلسفة الأسلامية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م .

- عبده ، الإمام محمد ، الأسلام دين العلم والمدنية ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

- الغزالي ، حامد ، المنقذ من الضلال ، حققه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد ، بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .

- القرآن الكريم .

- محمود ، زكي نجيب ، المنطق الوضعي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ج١ ، ١٩٦٧ م .

- مسكويه ، أبو علي أحمد . تهذيب الأخلاق ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت : مطبعة الجامعة الأميركية ، ١٩٦٦م .

المراجع الأجنبية :

- James , William , The varieties of experience , New American Library , New York , 1958.

- Stace , W. T. Mysticism and Philosophy , Macmillan , London , 1961 .

- Russell , Bertrand . Mysticism and logic , and other essays . London , George Allen and Unwin Ltd., 1959 .